الأديب الكبير الشاعر أحمد سويلم لـ "الأدب الإسلامي":

أدب الطفل بمضامينه وأخلقياته أدب إسلامي

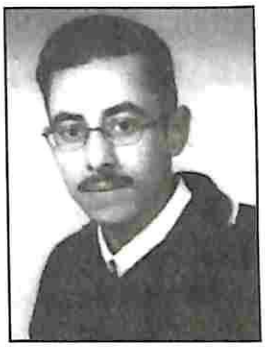

حوار: محمد أبوالوفا*
مصر

الشاعر أحمد سويلم هو من أهم كتاب أدب الأطفال وشعرائه في وطننا العربي، حصد الجوائز وشهادات التقدير في هذا المجال.

في حوارنا معه أكد سويلم أن أغلب الأدب المكتوب للطفل يحمل السمات والرؤى التربوية الإسلامية . لأن التربية الإسلامية تربية إنسانية . وأي أدب أو كتابة أو ثقافة تحمل مضامين أخلاقية وتربوية من شأنها أن تنشئ الطفل على الدين والخلق القويم توافق الأدب الإسلامي بصرف النظر عن المسميات، ولكن يجب التأكيد على القيم والمضامين التي تحفظ على الطفل دينه وخلقه وتؤكد انتماءه وتحفظ هويته.

وعلى جانب آخر تحدث سويلم عن خطورة الترجمة إذا لم يتم اختيارها وتنقيتها، وأشار إلى ضرورة الكتابة بالفصحى البسيطة للطفل، وشخص معوقات الكتابة للطفل وغياب الرموز في هذا المجال، وبرر تمنع كبار الكتاب عن الكتابة للطفل، وقضايا أخرى مطروحة في الحوار التالي :

---

* القاهرة – الوكالة العربية للإعلام.

*** في البداية سألناه : كيف يحقق أدب الأطفال الرؤية التربوية الإسلامية؟**

اعتقد أن الرؤية التربوية الإسلامية لا تبتعد كثيرا عن رؤية الواقع، وبالتالي هي رؤية إنسانية بالدرجة الأولى فإن مقومات الدين الإسلامي أنه دين حياة يمس كل ما هو صالح للبشرية وصالح للإنسان .. وكل أدب يكتب للطفل يكون أدبا إنسانيا في الدرجة الأولى، وفيه كل مقومات الإنسانية، وفيه كل ما يصلح للإنسان في حياته ،وكل ما يضيف إليه من قيم أخلاقية وتربوية، وكل هذا في صميم تعاليم الدين الإسلامي. وقد كان مفكرو الإسلام التربويون يؤكدون ذلك في كتاباتهم كالغزالي وابن مسكويه وابن خلدون وابن سحنون .

*** لكن ألا ترى أن أدب الطفل يجب أن يحافظ على هويته الإسلامية؟**

نحن هنا أمام إشكالية مطروحة على الساحة منذ زمن بعيد، فالطفل العربي والإسلامي له هوية خاصة تختلف عن هويات الأطفال في أي مكان آخر من العالم.. والثقافة الخاصة بالطفل في مجتمعنا لها طرفان : طرف حضارة عربية وطرف حضارة إسلامية ممزوجتان ببعضهما بعضا، ولهذا كلما حافظنا على هذا المزج وهذه الهوية أنشأنا طفلا ينتمي إلى مجتمعه وينتمي إلى دينه وإلى حضارته . لكنني أشير إلى ضرورة أن يضاف لثقافة الطفل من ثقافة العالم ما يمكن أن يغني هذه الثقافة دون أن يمحو هويتها أو يشوهها.

*** معنى ذلك أنك ترحب بالأعمال المترجمة للطفل العربي رغم أن بعضهم يشير إلى خطورتها؟**

نعم ثقافة الطفل لا بد أن تكون منفتحة على العالم بحيث نأخذ ما يتناسب مع هويتنا ومع شخصيتنا دون أن يؤثر ذلك تأثيرا سلبيا في الهوية العربية الإسلامية.

هناك الكثير جدا من الأدب المترجم يمكن أن يفيد الطفل العربي المسلم بشرط أن نمحصه .. ولا بد أن نتعامل مع هذا الانتقاء وهذا الاصطفاء حتى مع تراثنا، لأن فيه سلبيات كثيرة بجانب الإيجابيات، وذلك كأي تراث من تراث العالم، وبالتالي لا بد بهذا المنظور أن نتعامل مع الثقافة الأجنبية، نأخذ منها ما يضيف إلى ثقافتنا دون أن تؤثر فيها تأثيرا سلبيا، ونرفض منها ما يؤثر سلبيا في ثقافتنا، وذلك لكي نتعرف جيدا على العالم وهذا من واجب المسلمين .. « فمن عرف لغة قوم أمن بأسهم» وفي صدر الإسلام كان هناك حث للتواصل بين الحضارات فلماذا لا يكون هذا اليوم ؟!.

- الرؤية التربوية الإسلامية تتحقق في أدب الأطفال في العالم باعتبارها رؤية إنسانية بالدرجة الأولى.
- المحافظة على هوية الطفل المسلم وانتمائه تميزه وتعمق إحساسه بالدين والوطن.

وأضرب لك مثلا واقعيا حيث إنني كنت أعمل مديرا عاما للنشر في دار المعارف وكنا نتعامل مع مؤسسة «والت ديزني» الأمريكية . والعقد الذي أبرمته معها وضعت فيه بندا يقول : إن لي كامل الحرية في حذف أو إضافة ما أراه مناسبا للطفل العربي، وقد وافقوا على ذلك .. إذن نحن بأيدينا كل شيء، ويمكن أن نترجم أو ننقل ما يتناسب مع عقلية الطفل المسلم لكي يتعرف أيضا على العالم ولا يحبس نفسه في نطاق ضيق، وهذا يضيف إلى ثقافتنا بلا شك تماما كما كانت ثقافتنا العربية تنتقل إلى الغرب وتضيف إلى ثقافة الغرب.

وهناك الكثير من الترجمات الغربية من الأدب الفرنسي والأدب الروسي يمكن أن تفيد الطفل العربي، وأنا أعتقد أن هناك رقابة داخلية بشرط أن يكون الناقل منتميا انتماء جيدا لثقافتنا الإسلامية.

*** هل ترى أن ساحة أدب الطفل تفتقد لرموز مثل كامل الكيلاني وسعيد العريان والأبراشي؟**

لكل عصر طبيعته، هذا كان عصر العمالقة الذي ضم طه حسين والعقاد وكامل الكيلاني وأحمد شوقي وحافظ إبراهيم، ولكنني أعتقد أن كل عصر له طبيعته في الإبداع. نحن الآن نعيش عصر أجيال أو عصراً جماعياً، ولا يوجد فيه عمالقة ولكن يوجد فيه مذاقات

مختلفة وتجارب مختلفة في كل ساحة من ساحات الإبداع.

ليس معنى ذلك أن هناك عصرا أفضل من عصر آخر، ولكن كل عصر له طبيعته ومناخه الخاص الذي يشكل طبيعة المبدعين وطبيعة الإبداع أيضاً.

*** على جانب آخر كيف يراعي كاتب الأطفال المراحل العمرية للطفل؟**

هناك تربويون كثيرون حاولوا أن يقسموا مراحل الكتابة للطفل إلى مراحل مختلفة حيث إن هناك مراحل ما قبل القراءة .. ومراحل ما بعد القراءة، ثم يقسمون مراحل مابعد القراءة إلى أكثر من مرحلة عمرية من ٦ إلى ٨ ، ومن ٨ إلى ١٠ ، ومن ١٠ إلى ١٢ ... إلخ . والمقياس هنا هو مقياس اللغة أو الأسلوب الذي يقدم إلى هذه المراحل . وأنا أعتقد أن كاتب الطفل عليه مهمة شاقة جدا أصعب من كاتب الكبار، فكاتب الكبار ليس لديه مشكلة حينما يخاطب الكبير الذي يكتب له، ولكن حينما نخاطب الصغار فنحن أمام إنسان صغير السن وصغير العقل وصغير الفهم، وليس معنى ذلك أننا نحط من قدره، ولكن طبيعة تكوينه هكذا، فلا بد أن نتواصل مع هذا العقل وهذا الوعي الصغير بلغة مبسطة عربية فصحى نستطيع أن نقدم إليه ما نريد .

*** يرى بعض النقاد أن العربية الفصحى صعبة على الطفل؟**

لي تجربة في هذا خرجت منها أن اللغة العربية لها عدة مستويات، تبدأ من التبسيط وتنتهي إلى التعقيد، والقابض على لغته قبضا جيدا يستطيع أن يختار منها المستوى المناسب لأي مرحلة عقلية حتى لو كانت لا تقرأ ولا تكتب .. فعلت ذلك في أعمال كثيرة لي قبل مرحلة المدرسة وأثناءها باللغة العربية الفصحى البسيطة التي لا يمكن أن تجد فيها كلمة غريبة على المراحل العمرية . فاللغة مستويات: مستوى بسيط ، ومستوى أقل بساطة، ومستوى معقد .. والكاتب هنا هو المقياس والمعيار في هذا الموضوع ..

*** في رأيك أيضا، ما هي المعايير التي يجب أن تميز كاتب الطفل؟**

اعتبارات ثلاثة في كاتب الطفل تختلف عن كاتب الكبار .

- **الكتابة للأطفال ليست سهلة وتعتمد على الموهبة والثقافة.**
- **كثير من الكُتاب الكبار حاولوا الكتابة للطفل لكنهم فشلوا.**

الاعتبار الأول هو : لا بد أن يعرف الكاتب سيكولوجية المرحلة العمرية التي يكتب لها .

الاعتبار الثاني : اعتبار ثقافي بمعني أن يكون واسع المعرفة وواسع الثقافة بحيث يراعي ألا يدخل في غموض معلومة ولكن عليه أن يفسرها فورا حتى لا يهرب الطفل منه حينما يقرأ.

الاعتبار الثالث: اعتبار فني بمعنى: ماذا يكتب للطفل؟! إذا كان يكتب الشعر فلا بد أن يعرف كيف يكتب الشعر، وإذا كان يكتب القصة فلا بد أن يعرف كيف يكتب القصة وقواعدها، وكذلك في المسرح لا بد أن يعرف الدراما المسرحية. هذه الاعتبارات الثلاثة مهمة جدا بجانب مقومات كثيرة تتعلق باللغة والمستوى العمري وبالموهبة وبأشياء كثيرة.

*** ترى هل الكتابة للأطفال تعتمد على الموهبة أم على الدراسة؟**

الكتابة للطفل مثلها مثل أي كتابة أخرى تعتمد على الموهبة والثقافة معا . والموهبة بالدرجة الأولى ثم

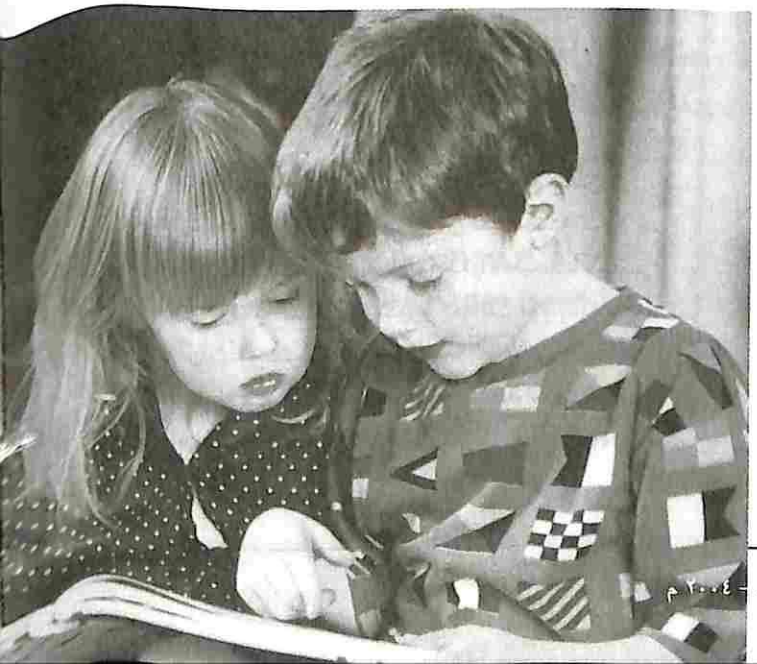

الثقافة التي تعتمد على هذه الموهبة وتشحذها لكي تنمو وتصبح موهبة كاملة .

*** ما هو دور الأدب في تنمية قدرات الطفل على الحوار مع الآخر؟**

هذه مسؤولية الكاتب فلا بد أن يسأل نفسه ماذا أريد أن أكتب؟وماذا أكتب؟ وما هي النتيجة التي أريد أن أحصل عليها من هذه الكتابة؟ كما أن الأسلوب الذي يقدم به العمل للطفل يجب ألا يكون مباشرا لأن المباشرة تنفر الطفل من أي شيء، كما يجب أن يوضع في إطار فني أو إطار إبداعي بحيث يكون الهدف واضحا، وحينما أريد أن أجعل الطفل يتعرف على ثقافة الآخرين أو لا يرفض الآخر يمكن أن أصوغ ذلك في عمل فني جميل يخرج منه بهذه النتيجة ولا يمكن أن أكتب له بطريقة مباشرة تنفره من هذه المباشرة أو التقريرية، لهذا أؤكد أن الكتابة للطفل حساسة للغاية .

ويضيف سويلم : على كاتب الأطفال أن يسأل نفسه : كيف أجعل الطفل يتوافق مع الآخرين وأن يكون على وعي بما يفعله الآخر معه؟ لا بد أن أجعله في سياق فني وإبداعي يقتنع به. فالطفل لا يقتنع بالبساطة، فهو الكائن الذي لا يمكن أن تكذب عليه .. هو الكائن الذي لا يمكن أن تقنعه بالإجبار، ولكن لديه حاسة سادسة يستطيع أن يلتقط بها ما وراء هذا العمل دون أن تضعه في تقرير أو مباشرة .

*** باعتبارك أحد أهم كتاب الأطفال في وطننا .. ما هي المشاكل التي تواجه كاتب الأطفال في الوطن العربي؟**

يمكن أن أصنفها في أكثر من تصنيف، فهناك مشاكل إدارية، بمعنى أنه لا يوجد تنسيق بين المؤسسات المعنية بالطفل، وهناك تكرار في أعمال هذه المؤسسات ومنافسة قد لا تكون في صالح الطفل .

أيضا دور النشر أحيانا تنشر أعمالا مكررة نشرت من قبل في دور نشر أخرى دون أن يكون هناك خطة أو استراتيجية كاملة لنشر كتب الأطفال.

وهناك مشكلة المستوى الفني، يجب أن يكون هناك خطة من الجهات المسؤولة لجمع جهود الكتاب المشتتين في كل مكان، إذ يكتب كل واحد منهم من عندياته، وإنما ينبغي أن توضع استراتيجية كاملة ويأخذ كل كاتب دوره في تحقيق هذه الاستراتيجية .

- لا خوف من الأعمال المترجمة إذا تم تمحيصها وتنقيتها.
- القابض على لغته جيدا يستطيع أن يختار منها ما يناسب أي مرحلة عقلية.

وللأسف كاتب الأطفال اليوم يقترح ويضع الخطة الخاصة به، لكن نحن ينقصنا الخطة العامة أو الاستراتيجية العامة التي تضم هذه الخطط حتى لا يتكرر العمل، إلى جانب أن هناك أعمالا للأطفال تقدم للتلفزيون أو النشر تأخذ أجورا أقل بكثير من أجر الكتابة للكبار .. مع أن الكتابة للأطفال أعمال فنية، وقد تكون أكثر أهمية من الكتابة للكبار .

*** لماذا يترفع الكتاب الكبار عن الكتابة للطفل في وطننا العربي؟**

هو ليس ترفعا ولكنها عدم قدرة، وكما قلت لك: إن الكتابة للأطفال موهبة، وأتذكر أن توفيق الحكيم كان له تجربة للأطفال لكنها تكاد تكون تجربة فاشلة جدا لهذا امتنع بعد ذلك عن الكتابة .

كثير من الكتاب الكبار حاولوا لكنهم لم يستطيعوا، فالكتابة للطفل مختلفة عن الكتابة للكبار.

*** هل هناك حركة نقدية في مجال أدب الطفل؟**

للأسف الشديد لا توجد حركة نقدية كما هي في كثير من ألوان الإبداع للكبار، ونحن نشكو بالفعل بسبب هذه القضية.

وأنا بصفتي شاعرا أولا وكاتب أطفال ثانيا أحس إحساس كتاب الأطفال المتخصصين أنهم يكتبون للطفل دون أن يجدوا صدى نقديا على أي مستوى .. وما يكتب هو انطباعات فقط وليس نقدا، نحن في حاجة فعلا إلى من ينقد أعمالنا كما يفعل النقاد مع كتاب الكبار .

*** لكن البعض يرجع أسباب ذلك إلى أن الكتابة للطفل لا تحتاج موهبة؟**

أنا ضد هذا تماما .. إذا كان لا يحتاج إلى موهبة فليكتب جميع الناس ولكن نحن لا نرى ذلك صحيحا،

هناك عدد كبير جدا من الذين يكتبون للأطفال، لكن عدد قليل منهم يطلق عليهم كاتب الطفل، ودائما نحن نقول في مجال الشعر : « إذا كثر الشعراء قل الشعر» ويمكن أن نطلق ذلك في هذا الشأن : « إذا كثر كتاب الأطفال قلت الإبداعات المقدمة إلى الطفل».

*** بمناسبة ذكر الشعر، هل ترى أن شعر الأطفال يلاقي اهتماما؟**

أقول:كما أننا نشجع القصة النثرية للأطفال علينا أن نشجع أيضا شعر الأطفال .. فشعرالأطفال له مجالات كثيرة جدا، يمكن أن تكتب المقطوعة الشعرية، تكتب القصيدة الشعرية تكتب القصة الشعرية، تكتب الرواية الشعرية .. إلخ، لكي نعود الطفل على تذوق الشعر وهذا مهم جدا في تربية الطفل الفنية : ينبغي أن نجعله يتذوق العمل الفني وليس فقط يفهمه أو يتواصل معه عقليا، أيضا لا بد أن أغذي وجدانه بالشعر .. والشعر دائما أسبق من النثر للطفل بدليل وجود ما يسمى «بترقيص» الأطفال عند العرب وعند الشعوب كلها، فالطفل بمجرد أن يسمع النغم الشعري دون أن يفهم معناه تجده يتفاعل معه، ولهذا لا بد أن نستقبل هذا الإحساس الفني لدى الطفل،ونعطيه ما نريد أن نعطيه عن طريق الشعر، وكل القيم من الممكن أن نبثها للطفل عن طريق القصيدة والقصة والمسرحية، ونكتسب بذلك فائدة فنية وفائدة قيمية في وجدان الطفل. ■

قصة قصيرة

لعبتان

بقلم : أحمد محمد صوان
سورية

اشترى الأب هدية لابنه سالم، وهي كيس فيه جنود ودبابات ورشاشات . واشترى لابنته هند هدية أيضا، وهي دمية ممرضة ، ثوبها أبيض ، ومعها قماش أبيض ومقص وعلبة دواء فارغة مكتوب عليها (معقم).

فرح كل من الولدين بالهدية ، وجلسا على الأرض ، كل منهما في ركن من أركان الغرفة .

صف سالم الجنود والآلات الحربية بانتظام ، وقال:

هناك اليهود، وخلف الجنود بيتنا وبيت جدتي ومدرستي . ثم خاطب الجنود:

هل أنتم جاهزون أيها الجنود الأبطال؟!

– نعم نحن جاهزون.

تقدم الجنود بشجاعة وقوة نحو الأعداء الصهاينة ، وانتصروا عليهم بسرعة ، وقالوا:

– الله أكبر ، الله أكبر ، انتصرنا على اليهود.

نظر سالم إلى بعض جنوده في ساحة المعركة ، فوجدهم جرحى ، فحزن عليهم ، ونادى أخته هند ، وكانت مشغولة بممرضتها وأدواتها الطبية:

– هند ، تعالي يا أختي بسرعة ، هذا جندي جريح ، وهذا جريح آخر، ثم قال سالم للجندي:

– اصبر يا صديقي ، ستأتي الممرضة الآن.

جاءت الممرضة ، ولفت القماش حول رجل الجندي .

شكرها الجندي، وقال لها:

– أريد أن أتابع المعركة حتى نهزم اليهود الصهاينة.

قالت الممرضة له : لا داعي لذهابك ، لقد انتصرنا على اليهود ، والحمدلله .

ثم نادت أخاها سالما:

– هيا يا أخي نحمل هذا الجندي على السرير ، ونسعفه إلى المستشفى.

ثم عالجت كل الجرحى ، وهي فرحة بانتصار الجنود على اليهود...■